عالم
Jon Work
الحزين والمرعب
"بعض البيوت لا تُسكن...
بل تُطعم."
٢٠٢٦ · MAVIS

Jon Work عالم

الحزين والمرعب

Mavis

عالم Jon Work

الحزين والمرعب

رسم توضيحي للجزء 1

الجزء الأول: المرض الصامت

في عالم لا يشبه عالمنا، حيث السُّحب رمادية دائماً والمطر لا يتوقف، وُلِد Jon Work.

لم يكن مولوداً عادياً. حين فتح عينيه لأول مرة، لم يبكِ كالأطفال. حدّق في السقف بعينين واسعتين، كأنه يفهم العالم قبل أن ينطق كلمة. أمّه، التي أسمتها القرية "المرأة ذات النَّظرة"، احتضنته وهمست: "هذا الطفل سيحمل ثقلاً لا تحمله الجبال."

كانت القرية تقع في وادٍ ضيّق تحيط به تلالٌ سوداء. بيوتها من حجر رمادي، وأبوابها من خشب البلوط المعتّق. لا شمس حقيقية هناك — فقط ضوءٌ أصفر خافت يتسلّل من بين الغيوم، كأن النهار يستجدي الليل أن يسمح له بالوجود.

Jon نشأ وحيداً. أبوه مات قبل أن يُتمّ عامه الأول — قيل سقط من الجبل، لكن أهل القرية يتهامسون أنه "أُخِذ" كما يُؤخذ من يلمس الحقيقة كثيراً. أمّه لم تُخبره أبداً كيف مات أبوه. كلما سأل، كانت تنظر إلى النافذة وتقول: "البعض يموت لأنهم يعرفون أكثر مما ينبغي."

في سنّ السابعة، بدأ Jon يسعل. سعالٌ جافّ لا يتوقف، يخرج من صدره كأنه يريد أن يقتلع شيئاً مدفوناً داخله. أمّه وضعت يدها على جبينه وعرفت فوراً: السلّ.

في ذلك العالم، السلّ ليس مجرد مرض. إنه “الهمس الأسود” — كائنٌ يعيش في الرئتين، يتغذّى على الهواء والأمل معاً. يقال إنه يدخل جسد الطفل حين يسمع كلمة “الموت” للمرة الأولى. و Jon سمعها مبكراً جداً.

“يا Jon،” قالت أمّه وهي تحضّر حساء الأعشاب المرة، “في هذا العالم، المرض ليس ضعفاً. المرض رسالة. والشفاء ليس دواءً. الشفاء أن تسمع الرسالة وتقبلها.”

Jon لم يفهم. كان عمره سبع سنوات فقط، وما زال يعتقد أن العالم مكانٌ عادل، وأن الأطفال لا يمرضون إلا إذا أكلوا حلوى كثيرة.

لكن السعال استمرّ. وأصبح أقوى.

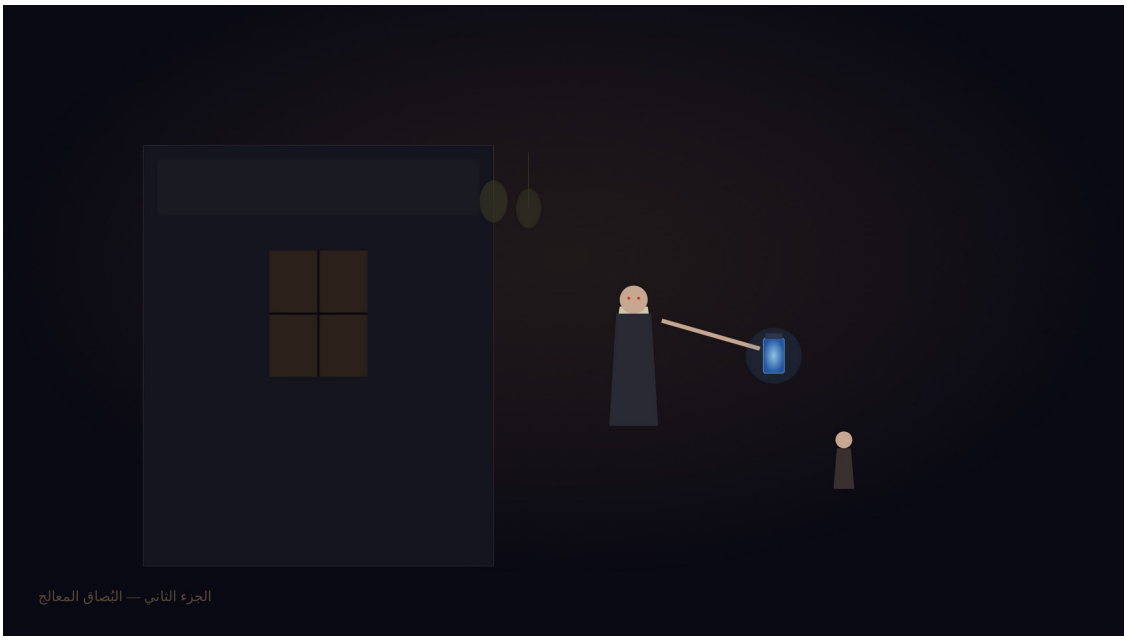

رسم توضيحي للجزء 2

الجزء الثاني: البُصاق المعالج

حين بلغ Jon العاشرة، لم يعد يقدر على المشي أكثر من عشر خطوات دون أن يسعل حتى يختنق. أمّه كانت تحمله على ظهرها إلى الطبيب العجوز في أعلى التلّة.

اسم الطبيب “صموئيل”، رجلٌ طويل نحيف بعينين حمراوين ولحية بيضاء طويلة. كان يعيش في برج حجري محاط بأعشابٍ مجفّفة تتدلّى من السقف مثل شعر الأشباح.

صموئيل فحص Jon بالنظر فقط. حدّق في عينيه طويلاً، ثم في صدره، ثم في يديه.

“أمّه،” قال صموئيل بصوتٍ يشبه صرير الباب القديم، “ابنك ليس مريضاً بالسل العادي. عنده شيء آخر.”

“ما هو؟” سألت الأمّ بيدين ترتجفان.

“همسٌ قديم. ساكنٌ في الرئتين. أُكلَ منذ زمن طويل، والآن يستيقظ. سيأخذ ابنك في رحلة طويلة قبل أن يقرر: يبقى أو يرحل.”

“كيف نعالجه؟”

صموئيل فتح خزانة مليئة بقوارير صفراء، خضراء، سوداء، وحمراء. اختار واحدة سوداء صغيرة عليها ملصق مكتوب عليه بلغة قديمة: “بُصاق التعالج”.

“هذا ليس دواء بالمعنى الذي تعرفينه،” قال. “هذا بُصاق. بُصاق من شخصٍ تعالج من السلّ قبل مئات السنين. عندما يمرض أحدٌ بنفس المرض، يُبصِق في قارورة. لُعابُه يحمل ذاكرة الشفاء. والشفاء ينتقل.”

أخذ صموئيل القارورة وفتحها. كانت الرائحة كريهة — خليط من حديد وعرق وتراب مبلول. سكب القطرة في ملعقة خشبية ورفعها إلى فم Jon.

“اشربها كلها،” قال. “ولا تبصق.”

Jon نظر إلى أمّه. أمّه أومأت برأسها. فتح فمه وأغلق عينيه. شرب.

الطعم كان كالموت — مرّ، حارّ، بارد في نفس الوقت. شعر به ينزل في صدره كأنه نارٌ زرقاء. سقط على الأرض يلهث.

ثم سكت السعال.

لأول مرة في ثلاث سنوات، لم يسعل. تنفّس بعمق. بعمقٍ لم يتنفسه من قبل.

“الآن،” قال صموئيل وهو يعيد القارورة إلى الخزانة، “تذكّر: البُصاق لا يشفي وحده. يشفي فقط إذا أنت سمحت لروحك أن تتغيّر. هناك أوقات ستمرّ بك ستظنّ فيها أنك شُفيت تماماً. ثم يعود السعال. لا تخف. كل عودة هي درس.”

Jon نظر إلى صموئيل بعينين واسعتين. لم يفهم كلمة “درس”، لكنه فهم أن السعال يمكن أن يعود.

“هل سأموت؟” سأل بصوت صغير.

صموئيل ضحك. ضحكة جافة مخيفة.

“الجميع يموت يا صغيري. السؤال ليس متى. السؤال ماذا ستفعل قبل ذلك.”

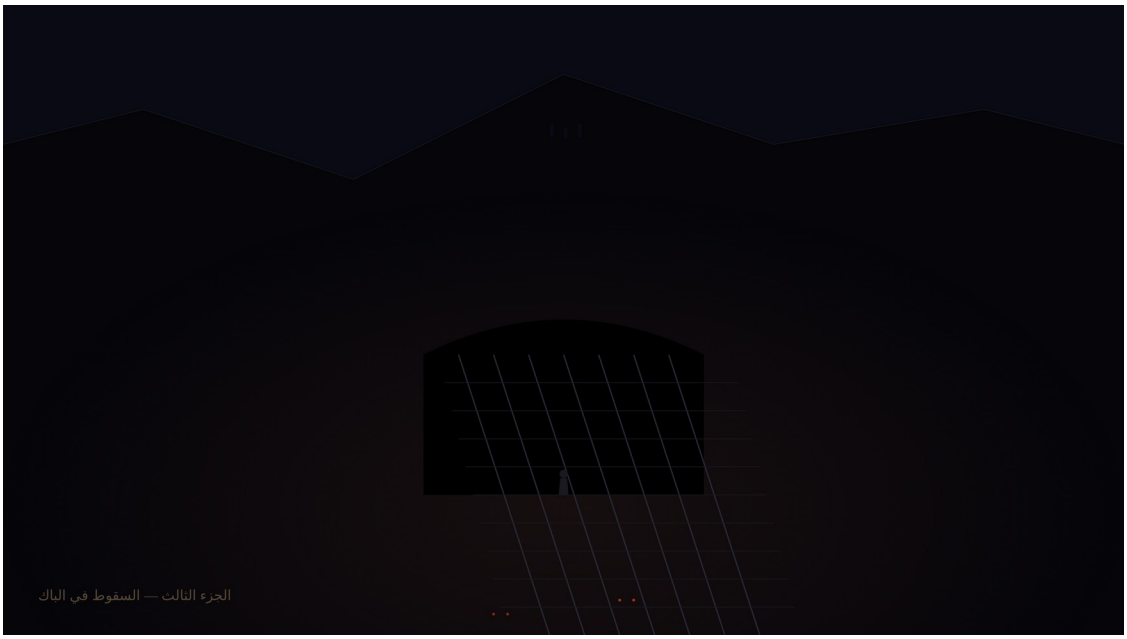

رسم توضيحي للجزء 3

الجزء الثالث: السقوط في الباك

في ذلك العالم، لا يقولون "الامتحان"، يقولون "الباك". كلمة "باك" تعني في اللغة القديمة "البوابة" — لأن الباك بوابة بين البقاء على حافة الحياة، والدخول إلى عمقها.

حين بلغ Jon السادسة عشرة، قرّرت أمّه أنه مستعد للباك. كل أهل القرية يخوضون الباك — اختبارٌ شفهي أمام "اللجنة السوداء"، خمسة رجال وامرأتان يرتدون أردية سوداء، يجلسون على كراسي حجرية في قاعة تحت الأرض. من ينجح يدخل "العالم المرئي" — أي يُسمح له أن يعمل، يتزوج، يملك بيتاً. من يفشل... لا أحد يعرف ماذا يحدث للفاشلين. لا أحد عاد ليُخبر.

"أنا خائفة عليك،" قالت أمّه وهي تُعدّ حقيبته. "الباك ليس عن المعرفة. الباك عن الروح. سيُسألونك أسئلة لا إجابة لها. سيُريدون أن يروا ماذا في قلبك. وإذا كان قلبك فارغاً... يؤخذ منك."

"يُؤخذ؟"

"لا أعرف. هذا ما يقولون. لا أحد عاد ممن رُفِض لِيُخبر. هذا وحده كافٍ لأخاف."

في صباح الباك، مشى Jon إلى أعلى التلّة. القاعة تحت الأرض كانت عند سفح الجبل الأسود. نزل الدرجات الـ 99 — واحدة واحدة، ببطء، قلبه يدقّ كأنه يريد أن يقفز من صدره.

حين دخل، كانت القاعة مضاءة بشموعٍ سوداء — نعم، سوداء، لهبها ظاهر لكنه لا يُضيء. اللجنة كانت جالسة في دائرة، وجوههم خلف أقنعة من خشب. أمامهم طاولة فارغة.

"اجلس،" قال أحدهم بصوتٍ كالصدأ.

جلس Jon. كرسيه كان بارداً حتى أحسّ بالبرد في عموده الفقري.

"اسمنا،" قال آخر، "أنت لست Jon Work الذي نعرف. أنت اليوم شيء آخر. من أنت؟"

Jon فكّر. فكّر طويلاً. ثم قال:

“أنا الذي يبحث عن مكانٍ لا يحتاج فيه أن يُثبت أنه يستحقّ أن يعيش.”

صمت طويل. ثم:

“وماذا لو لم تجد؟”

“سأبقى أبحث.”

“حتى متى؟”

“حتى لا أعود.”

سألوه عن أمّه. عن أبيه. عن المرض. عن السعال. عن البُصاق. عن صموئيل. عن المعنى. عن الله. عن الموت. عن الحب.

Jon أجاب بجملٍ قصيرة. بعضها لم يفهمه هو نفسه. لكنه كان صادقاً. في كل مرة كان يكذب، كان يشعر بنارٍ في صدره — البُصاق كان يتحرّك.

ثم سألوا السؤال الأخير:

“هل أنت مستعدّ لِتُفقد كل شيء؟”

Jon نظر إلى اللجنة. ثم نظر إلى الأعلى، حيث كان يرى سقف القاعة، وفوقه التراب، وفوقه التراب الجبل.

“لا،” قال. “لست مستعداً. لكنني سأفعل ذلك إذا اضطررت.”

هذا كان خطأه. الجواب المثالي هو “نعم” أو “لا أعرف”. أما “سأفعل إذا اضطررت”، فهذا يعني أنك تُفكّر في نفسك، لا في العالم.

رفع أحدهم يده. وأشار إلى الباب.

“سقطت.”

سقط Jon. ليس بالمعنى المادي، بل بالمعنى الأعمق. شعر أن كل شيء فيه يتهاوى. سنوات من التحضير، سنوات من القراءة، سنوات من الصلاة — كله ذهب.

خرج من القاعة. صعد الدرجات الـ 99. وحين وصل إلى الأعلى، لم يجد أمّه في انتظاره. وجد فقط رسالة صغيرة على الحجر:

“ابني. ذهب الطبيب صموئيل. ذهب معهم. سأذهب لأبحث عن مكان آمن. لا تبحث عني. اجعل العالم مرئياً.”

رسم توضيحي للجزء 4

الجزء الرابع: الوحدة

Jon بقي وحيداً.

لم يمت. لكن شيئاً مات فيه. سكن في بيت صموئيل الفارغ، ونام في سريره، وأكل من طعامه. في الليل، كان يسمع خطوات على السطح — خطوات ثقيلة، كأن أحداً يمشي فوق البيت.

أحياناً كان يخرج إلى القرية. أهل القرية كانوا يتجنبونه. الأطفال يرمونه بالحجارة. الكبار ينظرون إليه ثم يستديرون. لم يكن منبوذاً بالكلمات. كان منبوذاً بالصمت.

في ليلة ماطرة، طرق باب بيت صموئيل. كان السقف يسرّب الماء في كل مكان. فتح الباب ليجد فتاةً في مثل عمره، شعرها مبلول، عيناها خضراوان واسعتان.

“أنا ليلى،” قالت. “ابنة صموئيل. كنت أبحث عنك.”

Jon نظر إليها طويلاً. “أبوك...؟”

“أخذه الليل قبل أن يُكمل رسالته. قال إن البُصاق الذي أعطاك إياه ليس كاملاً. يحتاج إلى شيء آخر حتى يكتمل شفاؤك. وقال إنك ستفهم في وقته.”

“ما هذا الشيء؟”

“لا أعرف. قال فقط: ‘حين يسقط في الباك، يكتشف.’”

دخلت ليلى. ومن تلك الليلة، لم يعد Jon وحيداً تماماً.

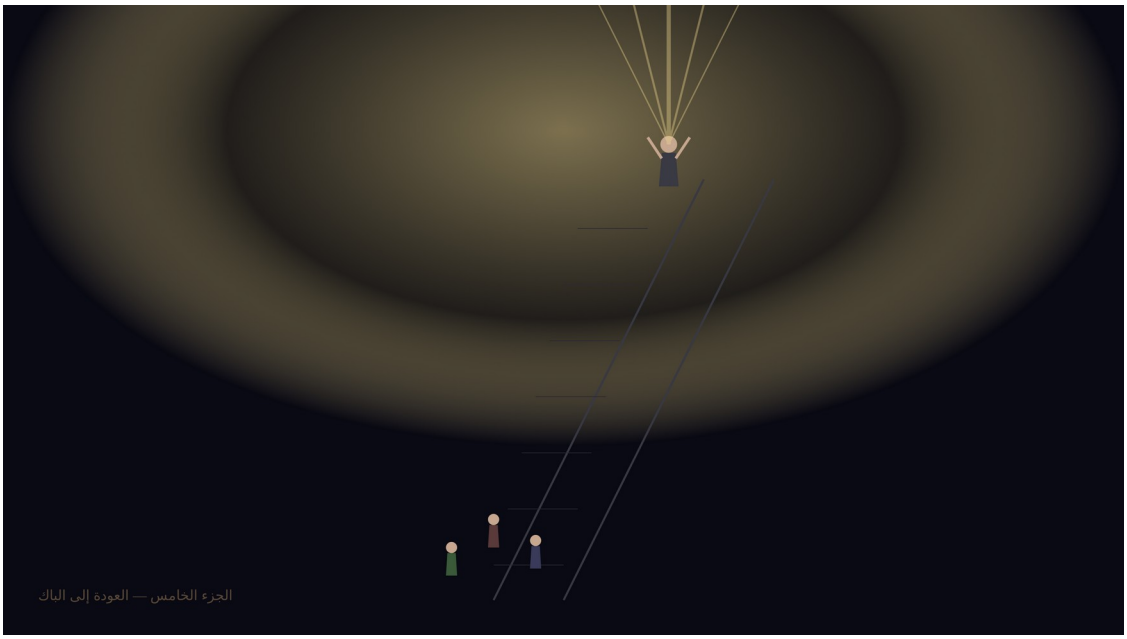

رسم توضيحي للجزء 5

الجزء الخامس: العودة إلى الباك

في ربيع العام التالي، قرّر Jon أن يخوض الباك مرة أخرى. من قال إنك لا تستطيع أن تعيد الباك؟ قالوا إن أحداً لم يفعلها في تاريخ القرية. لكن Jon لم يكن كبقيّة أهل القرية. كان عنده شيء يكسر القواعد.

“إذا رفضوني مرة،” قال لليلى، “سيرفضونني مرتين. لكن إذا نجحوا في أكملي هذه المرة، سيكون شفائي كاملاً.”

“وإذا فشلت؟”

“إذا فشلت... سأعرف أن الحياة تستمرّ حتى بدون اعتراف.”

عاد Jon إلى القاعة تحت الأرض. الدرجات الـ 99. الشموع السوداء. اللجنة بالأقنعة.

“عدت،” قال أحدهم. “هذا غير مسموح.”

“أنتم لم تمنعوني.”

“لأننا ظننا أنك لن تعود.”

“كنتم مخطئين.”

جلس. وبدأت الأسئلة. هذه المرة كان مختلفاً. لم يكن يبحث عن إجابات “صحيحة”. كان يبحث عن إجابات “صادقة”.

“من أنت؟”

“أنا الذي سقط، وقرّر أن يقوم.”

“وماذا تعلمت من السقوط؟”

“أن العالم لا يحتاجني أن أنجح. يحتاجني أن أحاول.”

“وإذا فشلت في المحاولة؟”

“سأحاول مرة أخرى.”

“حتى متى؟”

“حتى ينتهي الوقت. أو حتى أنجح.”

“أنت لا تزال تُفكّر في نفسك.”

“لا. أنا أُفكّر في الحقيقة. والحقيقة أنني أُريد أن أعيش. وهذا ليس أنانية. هذا اعتراف.”

اللجنة صمتت طويلاً. ثم سأل أحدهم السؤال الذي سقط بسببه:

“هل أنت مستعدّ لِتُفقد كل شيء؟”

هذه المرة، فكّر Jon طويلاً. ثم نظر إلى الأسفل، حيث كان يحسّ بالبرد في صدره — البُصاق. وأحسّ بشيء يتحرّك فيه.

“نعم،” قال بصوتٍ ثابت. “لأنني لا أملك شيئاً في الأصل. كل شيء أملكه هو هبة. حتى أنفي. حتى اسمي. حتى هذه اللحظة. إذا أخذتموها، فأخذتموها. لن أُقاوم.”

نظر أحد أعضاء اللجنة إلى آخر. أومأ برأسه.

“نجحت.”

سقط Jon هذه المرة أيضاً — لكن سقوطاً مختلفاً. شعر أن شيئاً ثقيلاً في صدره يرتفع. كأن يداً كبيرة أمسكت بالهمس الأسود ورفعته إلى أعلى، إلى النور. تنفّس بعمق. أعمق من أي يوم في حياته.

خرج. الدرجات الـ 99. وفي الأعلى، وقفت ليلى. وأمّه — نعم، أمّه، عادت، عادت قبل ثلاثة أيام من مكانٍ بعيد. واقف الطبيب صموئيل — نعم، هو أيضاً، كان قد عاد من رحلته قبل يومين.

ثلاثة أشخاص كانوا في انتظاره. دموع في عيونهم. وابتسامات.

“نجحت يا Jon،” قالت أمّه.

“نجحتَ،” قال صموئيل.

“نجحتَ،” قالت ليلى.

وJon ضحك. ضحك حتى سقط على ركبتيه. ليس سعادة فقط. بل راحة. راحة من ثقلٍ لم يعرف أنه يحمله.

رسم توضيحي للجزء 6

الجزء السادس: العالم المرئي

بعد نجاح Jon في الباك، أصبح "مرئياً". يعني أن العالم تغيّر حوله. لم يعد الناس يتجنبونه. بدأوا يحيّونه. بدأوا يدعونه إلى بيوتهم. أعطوه عملاً — أصبح حارساً للقاعة تحت الأرض، يساعد من يخوضون الباك.

ليلى لم تتركه. تزوّجها بعد عام. وفي حفل الزفاف، الذي أقيم تحت الأرض — لأن أهل القرية يتزوجون تحت الأرض — قال صموئيل كلمة:

"يا Jon، حين وُلدت، كنت تحمل ثقلاً لا تحمله الجبال. الآن تحمل الثقل — وتستطيع أن تمشي به. هذا ما يعنيه الشفاء."

أمّه نظرت إليه. في عينيها كان خليط من الفخر والحزن — لأن الأم التي ترى ابنها رجلاً كاملاً تحزن قليلاً، لأنها تعرف أن دورها انتهى.

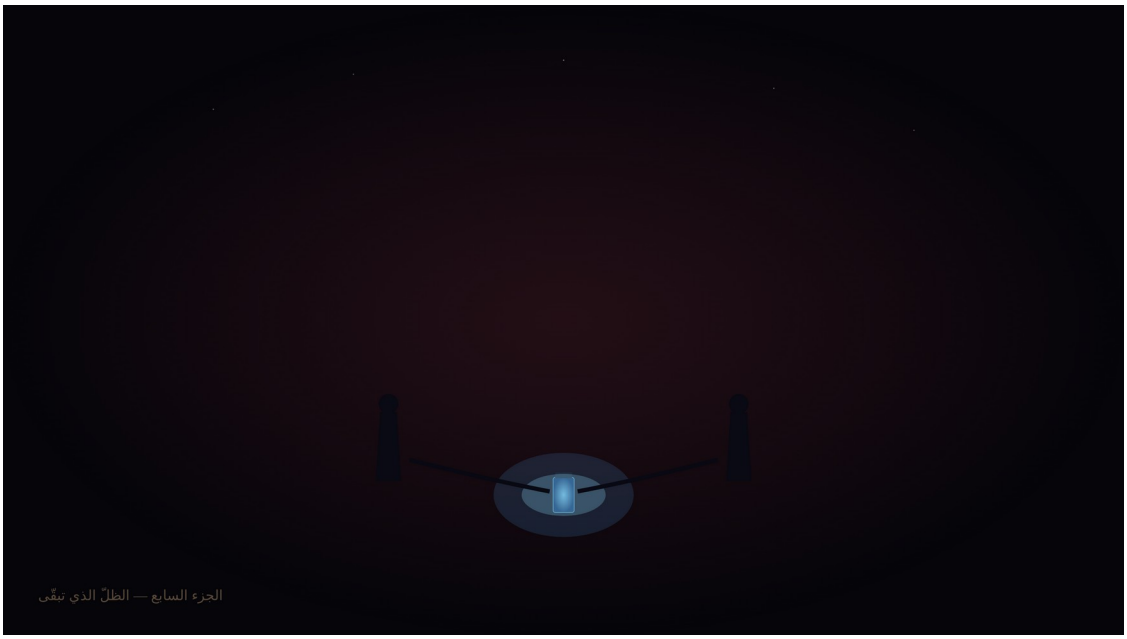

رسم توضيحي للجزء 7

الجزء السابع: الظلّ الذي تبقّى

لكن القصة لم تنتهِ.

بعد سنوات من الزواج، بدأت ليلى تسعل. نفس السعال. نفس الهمس.

Jon نظر إليها ورأى فيها نفس المرض. نظر في المرآة ورأى فيها ظلّ نفسه قبل سنوات.

“هل سأعطيك بُصاق التعالج؟” سألها.

“لا،” قالت. “أعطني وقتاً. أريد أن أعيش رحلتي الخاصة.”

Jon فهم. بعض الأشياء يجب أن تُعاش حتى النهاية. حتى لو كان هناك اختصار.

في تلك الليلة، خرج Jon إلى أعلى التلّة. وقف تحت المطر. ونظر إلى السماء.

“يا أبي،” قال بصوتٍ خافت. “أين أنت الآن؟ هل رأيتني من هناك؟ هل تعرف أنني نجحت؟”

لم يأتِ جواب. لكن قطرة مطر واحدة سقطت على خدّه. وقال لنفسه: ربما هذا كان الجواب.

رسم توضيحي للجزء 8

الجزء الثامن: رحلة صموئيل

قبل أن يُصبح صموئيل طبيباً، كان صبياً يحمل سعالاً أعنف من سعال أيّ مريض رآه في حياته. وُلِد في قرية أخرى، أقصى الشمال، حيث الثلج لا يذوب حتى في الصيف، والكلاب تصرخ في الليل بلا سبب.

في الثانية عشرة من عمره، كان صموئيل قد فقد كل شيء — أمّه وأخته وجدّه. لم يبقَ له إلا جدّته العمياء، التي كانت تقول كل ليلة قبل النوم: "يا صموئيل، في صدرك شيء. ليس مرضاً. شيء اسمه أبكر منك. لا تقاوِمْه. تعالَجْ معه."

لم يفهم صموئيل. ظنّ أن جدّته تهلوس. لكنه في ليلة عاصفة شديدة، حين كان وحيداً في البيت، سمع صوتاً يأتي من صدره — صوتٌ خافت، كالموسيقى البعيدة.

"من أنت؟" سأل.

"أنا الهمس،" قال الصوت. "أنا الذي يسكنك. أنا الذي سيبقى معك حتى تتعلّم أن تسمع العالم."

ومن تلك الليلة، سكن صموئيل مع الهمس سنوات. لم يمرض. لم يسعل. لكنه فقد النوم. وحين ينام، يحلم بأماكن لم يَرَها — وديان رمادية، تلال سوداء، قرية تحت الأرض. وأحياناً يحلم بطفل اسمه Jon، لا يعرفه.

حين بلغ الخامسة والعشرين، التقى بالمرأة التي ستنجب ليلى. اسمها "مريم"، وكانت هي الأخرى تحمل همساً — لكن همسها كان مضاداً. حين اقتربا من بعضهما، صمت الهمسان.

تزوّجها. وأنجب ليلى. وحين وُلدت ليلى، نظر إليها صموئيل ورأى في عينيها شيئاً غريباً — كأنها تعرف أشياء لم تتعلّمها بعد.

"ستحمل هذه الطفلة رسالة،" قال لمريم.

"أي رسالة؟" سألت مريم.

“رسالة عن البُصاق. هناك من سيحتاج إلى بُصاقها.”

ماتت مريم حين كانت ليلى في الثالثة. ماتت بهدوء، في نومها، كأن الحياة بالنسبة لها كانت مجرّد طريق. صموئيل لم يبكِ. لكنه حمل مريم إلى أعلى الجبل، ودفنها بيديه، وجلس فوق قبرها ثلاثة أيام بلا أكل ولا شرب.

وحين نزل، كان قد قرّر شيئاً: سيصير طبيباً. سيحمل الهمسات لا ليُقاومها، بل ليُعلّم من يأتون بعده كيف يتعايشون معها.

وهكذا بدأت رحلة صموئيل. وهكذا وصل إلى القرية التي فيها Jon. وهكذا أعطاه البُصاق.

لكن البُصاق الذي أعطاه لم يكن بُصاق صموئيل نفسه. كان بُصاق جدّته — تلك المرأة العمياء التي ماتت قبل أن يُتمّ صموئيل عامه الخامس عشر. جدّته كانت أوّل من ابتلع الهمس ولم يمت. لذلك بُصاقها كان أشدّ بُصاق في العالم.

“يا Jon،” قال صموئيل وهو يودّعه في تلك الليلة قبل أن يُختطف، “احمل البُصاق كما تحمل أمّ طفلها. ولا تنسَ أن تشكر الهمس. الشكر يجعله ينام.”

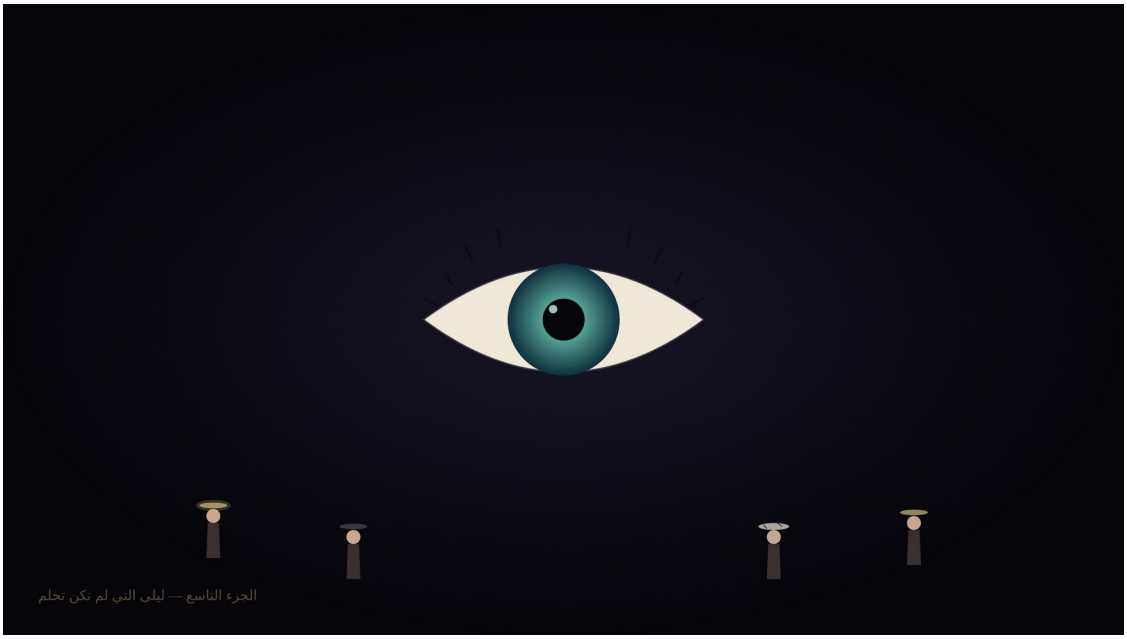

رسم توضيحي للجزء 9

الجزء التاسع: ليلى التي لم تكن تحلم

ليلى لم تكن تحلم. هذه ليست مبالغة. منذ طفولتها، كلّما نامت، كان عقلها يبقى متيقّظاً. ترى الأشياء وهي نائمة — لكن بعين مفتوحة، كأنها لا تنام حقاً، بل تُراقب العالم من زاوية لا يراها أحد.

أخبرها صموئيل أن هذا “هدية الهمس” — من يحمل همساً في صدره، يرى ما لا يراه الآخرون. لكنه حذّرها: “الرؤية عبء. كل من ترينه يحتاج شيئاً. ولا تستطيعين أن تُعطين الجميع.”

حين كبرت ليلى، بدأت ترى الناس — ليس وجوههم، بل "هالاتهم". حول بعضهم هالات ذهبية، كأنهم ممتلئون بالحياة. حول آخرين هالات رمادية، كأن شيئاً يسحب منهم. وحول Jon — حين رأته أول مرة — رأت هالة لم ترها من قبل: هالة بيضاء عليها شروخ سوداء، كأنها كسرت ثم أُصلحت ثم كُسرت ثم أُصلحت مرات كثيرة.

"هذا الذي يحتاج إليّ،" قالت لنفسها.

ومن هنا بدأت رحلتها إليه.

لكنّ ما لم يعرفه Jon — وما لم تعرفه ليلى نفسها حتى ذلك اليوم الماطر — هو أن ليلى كانت تحمل في صدرها همساً مختلفاً عن همس Jon. همسها لم يكن همس السلّ. كان همس "البُصاق" نفسه. أي أنها وُلدت وهي تحمل ذاكرة شفاء مئات الناس. وحين تقترب من مريض، يبدأ شفاؤه بدون أن تدري.

حين سعلت ليلى بعد سنوات من الزواج، لم يكن ذلك مرضاً في الحقيقة. كان "إيقاظاً" — البُصاق الذي تعاطاه Jon منها طوال تلك السنوات كان يُحاول أن يعود إلى مصدره، إلى ليلى، ليُكمل دورته.

"هل ستعطينني بُصاقك؟" سألها Jon في تلك الليلة.

"لا،" قالت. "لأن البُصاق بداخلي يحتاج إلى مكان يخرج منه. يجب أن يخرج عبر شخصٍ أحبّني بصدق. أنت ذلك الشخص."

"وكيف يخرج؟"

"بكلمة."

"أي كلمة؟"

"كلمة لم تُقَل بعد."

Jon نظر إليها طويلاً. ثم فهم. الكلمة التي لم يقلها طوال سنوات الزواج. كلمة لم يستطع أن يقولها لأنه ظنّ أنه لا يستحقّها.

"أنا أحبّك،" قال.

ابتسمت ليلى. ابتسامة خفيفة. ثم سعلت — سعلة واحدة قوية — بصقت فيها شيئاً في يدها: قارورة صغيرة سوداء، فيها سائل أزرق متوهّج.

"خذها،" قالت. "هذه لك. هذه هي رسالتي التي وعدني أبي أن أحملها."

Jon أخذ القارورة. وحين فتحها، لم يجد فيها دواء. وجد فيها ذاكرة — ذاكرة كل من تعالجوا بالبُصاق على مرّ مئات السنين. ذاكرة جدّة صموئيل. ذاكرة مريم. ذاكرة آلاف لا يعرفهم.

ومن تلك الليلة، أصبح Jon يحمل في صدره ذاكرة العالم. وهذا أثقل من أيّ مرض. لكنّه أيضاً أعمق من أيّ شفاء.

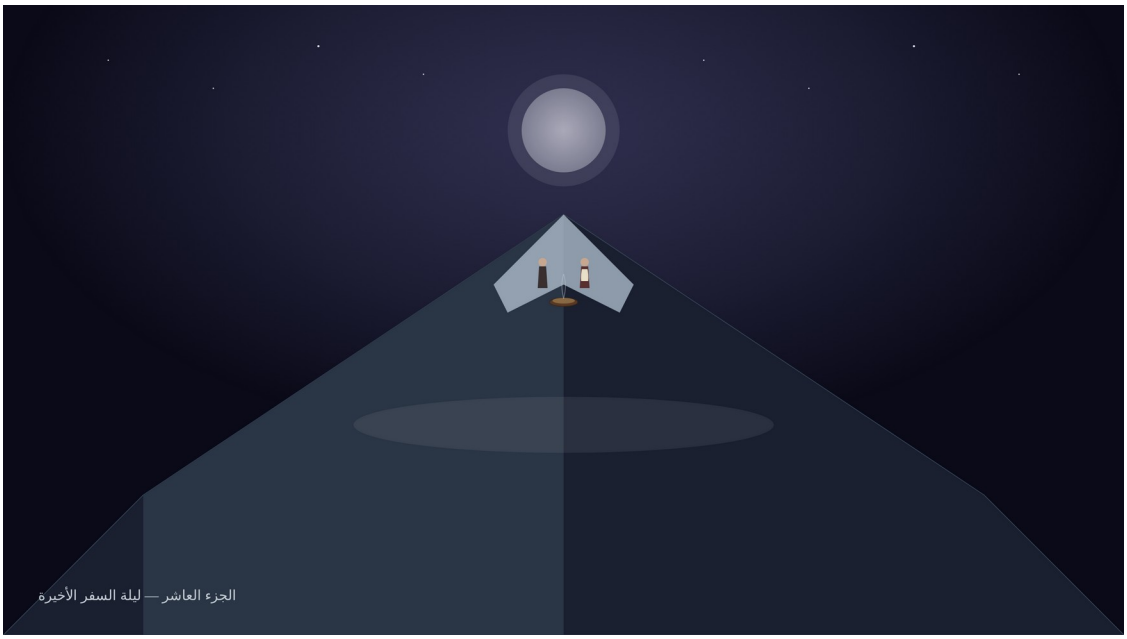

رسم توضيحي للجزء 10

الجزء العاشر: ليلة السفر الأخيرة

حين بلغ Jon السبعين من عمره — وهو عمر طويل في ذلك العالم — قرّر أن يسافر.

سألته ليلى: “إلى أين؟”

“إلى حيث بدأ كل شيء. إلى أعلى الجبل. إلى المكان الذي ذهب منه أبي قبل أن أُولد.”

“وما الذي ستفعله هناك؟”

“سأنظر إلى الأسفل. سأرى القرية من أعلى. وسأقول لها شكراً.”

سافر Jon ثلاثة أيام حتى وصل إلى القمّة. الجبل كان أطول ممّا يتذكّر. الثلج كان كثيفاً. الرياح كانت تقطع. لكنّه استمرّ.

حين وصل، وجد شيئاً لم يتوقّعه: هناك، على القمّة، كان يقف رجلٌ طويل نحيف بعينين حمراوين. صموئيل.

“معلّم،” قال Jon بصوتٍ يرتجف.

“يا ولدي،” قال صموئيل. “انتظرتك ثلاثين سنة.”

“لكنك مت.”

“الجسد يموت. المعلّم لا يموت. أنا هنا، أنتظر كل تلميذ يصل إلى قمّته.”

جلسا على الثلج. صموئيل أخرج من كيسه قصعة خشبية فيها حساء ساخن — في أعلى جبل، تحت ثلج، حساء ساخن. “لا تسأل كيف،” قال.

شربا. وتحدّثا. عن ليلى. عن الأطفال. عن الأحفاد. عن القرية. عن الباك. عن المعنى.

ثم قال صموئيل:

“يا Jon، تذكّر شيئاً. أنت لم تنجح لأنك كنت الأفضل. نجحت لأنك لم تتوقّف. الفرق بين الناس ليس الموهبة. الفرق بين الناس هو: من يتوقّف ومَن يستمرّ.”

“وماذا بعد؟”

“بعد؟” ضحك صموئيل. “لا يوجد بعد. هناك فقط قبل. وقبل. وقبل. كل لحظة هي بداية جديدة.”

حين غادر Jon القمّة، لم يكن صموئيل هناك. اختفى. لكنّ القصعة بقيت. وفي داخلها، بدلاً من الحساء، كان هناك ماء صافٍ — ماء من نبعٍ لم يرَه أحد. Jon شربه. وأحسّ بشيءٍ يتحرّك في صدره — ليس البُصاق هذه المرة، بل شيءٍ آخر. كأن كل ما حمله طوال حياته كان يَخفّ.

نزل Jon الجبل. وحين وصل إلى القرية، لم يعد Jon الذي صعد. لم يكن أقوى ولا أضعف. كان فقط أوضح.

الخاتمة: العالم الجديد

Jon Work عاش طويلاً. طويلاً جداً. أنجب أطفالاً، كثير منهم. علّم أحفادهم أن يسمعوا الهمسات التي لا يسمعها الآخرون. وحين جاء وقت موته — في ليلة هادئة، تحت سماءٍ لم تكن رمادية لأول مرة — لم يسعل. لم يختنق. تنفّس بعمق. وذهب.

قبل أن يذهب، كتب على الجدار — بطباشير بيضاء، بيده المرتجفة — الكلمات الأخيرة:

> “أيّها القادم بعدي. الهمس في صدرك ليس عقاباً. هو رفيق سيئ، لكنّه رفيق. تعلّم كيف تنام معه. وحين يستيقظ، لا تقاوِمْه. اسأله ماذا يريد. ستجد أنه يريد فقط أن يُسمع.”

وفي مكانٍ ما، في قريةٍ أخرى، في وادٍ آخر، وُلِد طفل اسمه Jon آخر. وسمع كلمة “الموت” للمرة الأولى. ورأى ظلّه على الحائط ينظر إليه بطريقةٍ لا يفهمها. وفي تلك اللحظة، سكن في صدره همسٌ صغير. لم يعرف بعد أنه همس.

لكنّ في القرية المجاورة، وُلِدت طفلة اسمها ليلى أخرى. وبياض عينيها كان أخضر.

القصة تبدأ من جديد. كما تبدأ دائماً.

ملاحظة أخيرة من الكاتب

> “عالم Jon Work” ليست رواية عن السل. ليست رواية عن النجاح بعد الفشل. هي رواية عن كل شخصٍ يحمل في صدره همساً أسود — مرضاً، خوفاً، ذنباً، حزناً — ويُظنّ أنه وحيدٌ فيه. لست وحدك. الهمس شائع. والشفاء ممكن. لكنه لا يأتي دفعة واحدة. يأتي على مراحل. وكل مرحلة فيها سقوط، وفيها درس، وفيها عودة.